بـاب

قال أبو العباس: قال أبو إدريس الخَوْلانِيُّ: المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ.

وقيل للأحْنف بن قَيْسٍ أحدِ بني مُرَّة بن عُبَيْدٍ [١/٣٨] بن الحارثِ بن كَعْبِ[١] ابن سَعدٍ: أيُّ المجالس أَطْيَبُ؟ قال[٢]: ما سافر فيه البصرِ، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ.

«اتَّدَعَ»: افتعل من التَّوْديعِ[٣]، والأصل: «اِوْتَدَعَ» فتَنْقَلِبُ[٤] الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا القولُ مذهبُ أهل الحجاز، يقولون: ايتَزَنَ[٥] ياتَزِنُ، وهو رجل مُوتَزِنٌ، والأجود أنْ تَقْلِبَ[٦] ما كان أصلُهُ الواوَ والياءَ في باب «افْتَعَلَ» تاءً وتُدْغِمَهَا في التاء من افْتَعَلَ؛ فتقول: اتَّدَعَ يَتَّدِعُ، ومُتَّزِنٌ، ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ، ومُتَّئِسٌ من اليأس، تكونُ الياءُ كالواو لأنَّها إن أُظْهِرَت انقلبتْ على حركة ما قبلها

---

(١) كذا وقع «الحارث بن كعب» وكذا وقع في النقائض ٧٢٣! وبهامش ي ما نصه: «هو الحارث بن عمرو بن كعب» وهو الصواب، انظر جمهرة أنساب العرب ٢١٧، ووفيات الأعيان ٢/٤٩٩.

(٢) في ر: «فقال».

(٣) في الأصل وهـ وج: «التودّع» وبهامش الأصل وهـ: التوديع.

(٤) في ي: «فتَقْلِبُ» وفي أ وف: «فقلبت» وكانت في الأصل فتنقلب ثم غيرها إلى «فقلب».

(٥) كذا في الأصل وج وهو الصواب المحض وهو مما يمثلون به في هذا الباب، انظر المقتضب ١/٩١ والمنصف ١/٢٢٢، وما يأتي من كلامه ههنا.

وفي ر و ف وهـ وظ وهامش ج: «ايتزر» بالراء وكذا جاء بالراء في سائر الأمثلة وهو خطأ لأنه ليس مما فاؤه واو، وهو من «أزر».

(٦) في ف و هـ: يقلب.

فصارتْ كالواو، وتكونان واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ، وياءين للكسرة.

والواوُ قد تُقْلَبُ إلى التاء ولا تاءَ بعدها، نحو تُراثٍ من وَرِثْتُ، وتُجاهٍ من الوَجْهِ، وتُكَأَةٍ، وإنَّما ذلك كَرَاهيَةَ الضمة[1] في الواو، وأقربُ -حروف الزوائد[2] والبَدَلِ منها التاءُ فَقُلِبَتْ إليها، وقد تُقْلَبُ للبدل في غير ضم، نحو: هذا أَتْقَى من هذا، وضربتُه حتى أَتْكَأْتُهُ، فلما كانت بعدها تاءُ «افْتَعَلَ» كانَ الوجهُ القلبَ ليَقَعَ الإدغامُ، وقد فسرنا ذا[3] على غاية الاستقصاء في الكتاب المُقْتَضَبِ[4].

***

وقيل للمُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ: ما خَيْرُ المَجَالِسِ[5]؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس.

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه: إذا أتيتَ[6] مجلسَ قومٍ فآرْمِهِمْ بسَهْمِ الإسلام، ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر اللّه فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم، وإن أفاضوا في غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ.

قوله: «فارمهم بسهم الإسلام» يعني السَّلام[7]. وقوله «فَأَجِلْ سهمكَ مع سهامهم»، يقول: آدْخُلْ معهم في أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثَلاً من دخول الرجل في قِدَاحِ المَيْسِرِ.

---

(١) في الأصل: كراهيةً للضمة.
(٢) في ج: الزيادة.
(٣) في ف: هذا، وفي هـ: ذلك.
(٤) انظر المقتضب ١/٩١. وفي ج و هـ و ظ: كتاب المقتضب.
(٥) في ج: أي المجالس خير.
في ر و ف: يا بني إذا أتيت.
في ج: التسليم.

وقال وَهْبُ بنُ عبدِ مَنافِ بن زُهْرَةَ جَدُّ رسول[1] اللّه صلَّى اللّه عليه وسلَّم:

وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَـاعَـةً في مَـجْلِسٍ فَاخْتَـرْ مَجَـالِسَهُمْ وَلَمَّـا تَقْعُـدِ
[١٠٠] وَدَعِ الْغُـوَاةَ الجَـاهِلِينَ وَجَهْلَهُـمْ وَإِلَى الَّـذِينَ يُذَكِّـرُونَكَ فَـاعْمِـدِ[2]

وقال آبن عباس رحمه آللّه: لِجَلِيسِي عليَّ ثلاثٌ[3]: أن أَرْمِيَهُ بِطَرْفي[4] إذا أقبل، وأُوَسِّعَ له إذا جلس، وَأُصْغِيَ إليه إذا حَدَّثَ.

وكان القَعْقَاعُ بنُ شَوْرٍ أحدُ بني عَمْرِو بنِ شَيْبانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ [٢/٣٨] بنِ عليِّ بنِ بَكْرِ بن وائِلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفَهُ بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيباً في ماله، وأعانَهُ على عَدُوِّهِ، وَشَفَعَ له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له، حتى شُهِرَ بذلك، وفيه يقول القائل[5]:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَـاعِ بن شَـوْرٍ وَلَا يَـشْقَى بِقَـعْقَـاعٍ جَـلِيسُ
ضَحُـوكُ السِّنِّ إنْ أَمَـرُوا بِخَيْـرٍ وَعِنْـدَ السُّوءِ[6] مِـطْرَاقٌ عَـبُـوسُ

---

(١) في ر: جد رسول الله ﷺ لأمه.

(٢) بهامش الأصل و هـ: تمام الشعر:

وإذا رأيـت مـن آبـن عـمـك زلـةً فعـلى أخيـك بـفـضـل حـلمـك فـاردد
وإذا ظـفـرت بـذي الـلبـابـة والـتـقـى فـيـه الـيـديـن قـريـر عـين فـآشـدد

(٣) في ج: ثلاث خصال.

(٤) في الأصل: ببصري، وبهامشه كما في المتن.

(٥) أبو عِلاقة التغلبي. والبيتان له في الوحشيات ٢٦٤، وهما بلا نسبة في البيان والتبيين ٣/٣٣٩، وانظر استقصاء تخريجهما في الوحشيات.

(٦) في الأصل و هـ: «وعند الشرّ» وهي الرواية في الوحشيات والبيان. وبهامش الأصل كما في المتن.

وفي هـ: إن نطقوا بخير، وهي رواية.

وزاد في ج بعد البيت الأول: «وقال: زاد غيره: ضحوك...».

وحدثني التَّوَزِيُّ أنَّ رجلاً جالَسَ قوماً من بني مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ، فأساؤوا عِشْرَتَهُ، وَسَعَوْا به إلى معاوية، فقال:

شَقِيتُ بِكُمْ وَكُنْتُ لَكُمْ جَلِيساً ... فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرِ
ومِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ ... غَزَا بَدْراً بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ[1]

نَسَبَهُ إلى التَّوْضيع[2]، كقول[3] عُتْبَةَ بن رَبيعةَ بنِ عَبْدِ شَمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ لِحَكيم بنِ حِزام ـ لما بلغه قَولُ أبي[4] جَهْل «آنْتَفَخَ وآللّهِ سَحْرُهُ»[5] ـ سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ آسْتِهِ مَنِ آنْتَفَخَ سَحْرُهُ اليومَ[6].

***

وقال رجلٌ من بني مَخْزومٍ للأَحْوَصِ بنِ محمَّدِ[7] بنِ عبد آللّه بنِ عاصمِ ابنِ ثابتِ بنِ أبي الأَقْلَحِ الأنصارِيِّ[8]، لِيُؤْذِيَهُ: أَتَعْرِفُ الذي يقول[9]:

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا[10] ... وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنْصَارِ

---

(١) المجمرة: التي يوضع فيها الجمر مع الدخنة. والتور: إناء من صفر أو حجارة.

(٢) التوضيع: التخنيث.

(٣) انظر السيرة النبوية ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٦.

(٤) بهامش ي ما نصّه: «بلّغه قول أبي، روايةً». وفي ف: أبي جهل بن هشام.

(٥) في ي و د و هـ و ظ: «سحره ونحره».

(٦) مصفراسته يريد صفرة الخلوق والطيب، وانظر ما قاله السهيلي في الروض الأنف ٣/٤٦ في تفسير هذه الكلمة وكلامه جيد.

وانتفخ سحره: السحر: الرئة، يقال ذلك للجبان.

(٧) «بن محمد» ليس في الأصل.

(٨) في ف و ظ: الأفلح وهو تصحيف. وانظر الإكمال ١/١٠٤.

(٩) في د و ي: أتعرف القائل.

(١٠) في ج: بالمكارم والعلى، وهي رواية الديوان.

فقال الأَحْوَصُ: لا أَدْرِي، ولكِنِّي أَعْرِفُ الذي[1] يقول:

النَّاسُ كَنَّوْهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللّهُ كَنَّاهُ أَبَا جَهْلِ
أَبْقَتْ رِيَاسَتُهُ لِأُسْرَتِهِ لُؤْمَ الْفُرُوعِ وَدِقَّةَ الأَصْلِ

وهذا الشعر لِحَسَّان بن ثابت[2]، والبيت الذي أنشده المخزوميُّ للأَخْطَلِ[3]. وكانَ يَزيدُ بنُ معاويةَ عَتَبَ على قوم من الأنصار، فأَمَرَ كَعْبَ بنَ جُعَيْلٍ التَّغْلَبِيَّ بهجائِهم، فقال له كَعْبٌ: أَأَهْجُو الأنصار؟ أَرَادِّي أنت في الكُفْرِ[4] بعد الإسلام؟ ولكنِّي أَدُلُّكَ على غلام مِنَ الحَيِّ نَصْرَانِيّ كأنَّ لِسَانَهُ لسانُ ثَوْرٍ، يعني [١٠١] الأَخْطَلَ. فلما قال[5] هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ الأنصاريُّ على معاوية فَحَسَرَ عِمامَتَه عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أَتَرَى لُؤْماً؟ فقال: ما أرى إلا كَرَماً، فقال النعمان[6]:

مُعَاوِيَ إلّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ [١/٣٩] لِحَيِّ الأَزْدِ مَسْدُولاً عَلَيْها الْعَمَائِمُ
أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الأَرَاقِمِ ضَلَّةً فَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ
فَمَالِيَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ[7] آلدَّرَاهِمُ

وكانَ الأحنف[8] يقول: لا تزال العرب عَرَباً[9] ما لَبِسَتِ العَمائِمَ، وتَقَلَّدَتِ

---

(١) في الأصل و ج: «فقال الأحوص: وأعرف الذي..» وفي هـ و ظ: «فقال الأجوص: أعرف..».
وما أثبته من ر و ف.
(٢) ديوانه ق ٤/١٤، ٥ ص: ١٠٦ باختلاف في الرواية.
(٣) ديوانه ق ٣/٦١ جـ ٢/٤٨٣.
(٤) في ب و س و د ومتن ي: «إلى الكفر».
(٥) في ر و ف: قال فلما قال.
(٦) انظر شعره ق ١/٢٢، ٢، ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥١.
(٧) في الأصل «عنك» وبهامشه: عنه، وبهامش ف: عنك.
(٨) في ف و ج: الأحنف بن قيس.
(٩) في ج وهـ وهامش الأصل: «بخير» مكان «عرباً».

السُّيوفَ، ولم تَعْدُدِ الحِلْمَ ذُلًّا، ولا التَّوَاهُبَ فيما بينها ضَعَةً.

وقالوا في تأويل قوله: «مَا لَبِسَتِ الْعَمَائِمَ» يقول: ما حافظت على زيِّهَا. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضَّيْمِ.

وقوله: «ولم تعدد الحلم ذُلًّا» يقول: ما عَرَفَتْ موضعَ الحِلْم، وتأويلُ ذلك: أن الرجلَ إذا أَغْضَى للسلطان، أو أَغْضَى عن الجواب - وهو مأسورٌ - لم يُقَلْ حَلُمَ؛ وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقولَ الشيء لصاحبه مُنْتَصِراً، ولا يخافُ[1] عاقبةً يَكْرَهُهَا، فهذا الحِلْم المَحْضُ، فإذا لم يفعلْ ذلك ورأى أَنَّ تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ.

وقوله: «ولم تر التواهب[2] ضَعَةً» نحوٌ من هذا، وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه ما لا يُسْتَكْرَهُ عليه، وكان يقال: «أَحْيُوا المعروفَ بإماتَتِه»، وتأويل ذلك: أنَّ الرجلَ إذا آعْتَدَّ[3] بمعروفه كَدَّرَهُ، وقيل: «المِنَّةُ[4] تَهْدِمُ الصَّنِيعةَ».

وكان يقال: كِتْمَانُ المعروفِ من المُنْعَمِ عليه كُفْرٌ[5] وذِكْرُهُ من المُنْعِمِ تكدير له.

وقال قَيْسُ بن عاصمٍ: يا بَنِي تميم، اصْحَبُوا مَنْ يَذْكُرُ إحْسانَكُم إليه، وَيَنْسَى أَيَادِيَهُ إليكم.

---

(١) في ج: فلا يهاب.
(٢) في ر: التواهب بينها.
(٣) في ف: امتن.
(٤) في ج: إن المنة.
(٥) في ج: كفر له.